عينه اى اذا اعتقد صاحبك ذلك الشبح غير زيد مصرا على هذا الاعتقاد وقد ينزل
المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له اى لذلك المعلوم الثانى اى النفى و
الاستثناء افرادا اى حال كونه قصرا افرادا نحو وما محمد الا رسول اى مقصور على الرسالة
لا يتعداها الى التبرى من الهلاك فالمخاطبون وهم الصحابة رضى الله عنهم عالمون بكونه
مقصورا على الرسالة غير جامع بين الرسالة والتبرى عن الهلاك لكنهم لما كانوا يعدون هلاكه
امرا عظيما نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم اياه اى الهلاك فاستعمل النفى والاستثناء
والاعتبار المناسب هو الاشعار بعظم هذا الامر فى نفوسهم وشدة حرصهم على بقاء النبى عم
فيما بينهم حتى كانهم لا يخطرون هلاكه بالبال او قلبا عطف على قوله افرادا اى او يستعمل له
الثانى حال كونه قصر قلب نحو ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد
آباؤنا فاتونا بسلطان مبين فان المخاطبين بهذا الكلام وهم الرسل لم يكونوا جاهلين
بكونهم بشرا ولا منكرين لذلك لكنهم نزلوا منزلة المنكرين لاعتقاد القائلين ان الرسول
لا يكون بشرا مع اصرار المخاطبين على دعوى الرسالة اى لان الكفار القائلين بهذا القول
اعنى ان انتم الا بشر كانوا يعتقدون ان البشرية تنافى الرسالة فى الواقع وان كان هذا
الاعتقاد خطاء منهم والرسل المخاطبون كانوا يدعون احد الوصفين اعنى الرسالة
فنزلهم الكفار منزلة المنكرين للوصف الاخر اعنى البشرية بناء على ما اعتقدوا من التنافى
بين الوصفين فقلبوا هذا الحكم وعكسوه وقالوا ان انتم الا بشر اى انتم مقصورون على
البشرية ليس لكم وصف الرسالة التى تدعونها ولما كان ههنا مظنة سوال وهو ان القائلين
قد ادعوا التنافى بين البشرية والرسالة وان المخاطبين مقصورون على البشرية والمخاطبون
قد اعترفوا بكونهم مقصورين على البشرية حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم فكانهم سلموا
انتفاء الرسالة عنهم اشار الى جوابه بقوله وقولهم اى قول الرسل المخاطبين ان نحن
الا بشر مثلكم من باب مجاراة الخصم اى التماشى معه وارخاء العنان اليه والمساهلة
معه بتسليم بعض مقدماته ليعثر الخصم من العثار وهو الذلة لا من العثور وهو الاطلاع
حيث يراد تبكيته اى اسكات الخصم والزامه لا لتسليم انتفاء الرسالة فالرسل

عليهم السلام كانهم قالوا ان ما قلتم من انا بشر مثلكم حق لا ننكره ولكن ذلك لا يمنع ان
يكون الله تعالى قد من علينا بالرسالة وهذا يصلح جوابا لاثبات الرسل البشرية
لانفسهم واما اثباتها بطريق القصر فليكون على وفق كلام الخصم كما هو داب كلام
المناظرين ويمكن تقرير السوال بوجه اخر وهو انه استعمل فى قوله ان نحن الا بشر النفى
والاستثناء مع ان المخاطبين لا ينكرون ذلك بل يدعونه والاول اوفق بعبارة
المتن فليفهم ومما اشتمل على تنزيل المعلوم منزلة المجهول قصر قلب قوله تعالى حكاية عن
اهل انطاكية حين كذبوا رسل عيسى ان انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شىء
ان انتم الا تكذبون فقوله ان انتم الا بشر قصر قلب على ما اوردنا الان واما قوله ان انتم
الا تكذبون فالظاهر ايضا انه قصر قلب لان المخاطبين وهم الرسل يعتقدون انهم صادقون
قطعا وينكرون كونهم كاذبين لكنه حمله صاحب المفتاح على انه قصر افراد يعنى الذى
سماه المص قصر تعيين بناء على نكتة وهى ان الكفار نزلوا المخاطبين وتنبيههم على
ان قطعهم بكونهم صادقين مما لا ينبغى ان يصدر عن العاقل البتة بل غاية امرهم
ان يكونوا مترددين بين الصدق والكذب كما هو ظاهر حال المدعى عند السامعين
فقصروهم على الكذب قصر تعيين وكقولك عطف على قوله كقولك لصاحبك يعنى
ان الاصل فى انما ان تستعمل فيما لا ينكره المخاطب كقولك انما هو اخوك لمن يعلم
ذلك ويقربه وانت تريد ان ترققه عليه اى ان تجعل من يعلم ذلك رقيقا مشفقا
على ذلك الاخ والاولى بناء على ما ذكرنا ان يكون هذا المقام من الاخراج لا على مقتضى الثالث
الظاهر لانه لما لم يشفق على اخيه فكانه اخطأ فزعم انه ليس باخيه لكنه غنى
نص عليه ذلك وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم اى ينزل ما من شانه ان يكون
معلوما للمخاطب لا يصر على انكاره لادعاء ظهوره فيستعمل له الثالث اى انما نحو
قوله تعالى حكاية عن اليهود انما نحن مصلحون ادعوا ان كونهم مصلحين امر ظاهر
من شانه ان لا يجهله المخاطب ولا ينكره ولذلك جاء الا انهم هم المفسدون
للرد عليهم مؤكدا بما ترى من ايراد الجملة الاسمية الدالة على الثبوت وتعريف

King Saud University
Copyright © King Saud University